المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 21 آيار 2026
No.21 May 2026

آليات إعادة إنتاج التراث في الشعر العراقي المعاصر بين الانزياح الأسلوبي والابتكار الدلالي

م.م حسين علي محمد البياتي
HUSSEIN.A.Mohamed@tu.edu.iq
جامعة تكريت – كلية التربية طوزخورماتو – قسم اللغة العربية / الأدب

الملخص:

يتناول هذا البحث آليات إعادة إنتاج التراث في الشعر العراقي المعاصر، منطلقًا من فرضية مفادها أنّ التراث لم يعد عنصرًا استدعائيًا ثابتًا في الخطاب الشعري الحديث، بل تحوّل إلى بنية دلالية متحوّلة تُعاد صياغتها داخل النص وفق رؤية جمالية ومعرفية جديدة. ويسعى البحث إلى الكشف عن الكيفية التي جرى من خلالها تفكيك الرموز التراثية وإعادة بنائها عبر آليات أسلوبية ودلالية، أسهمت في توليد معانٍ جديدة تعبّر عن تحوّلات التجربة الشعرية المعاصرة وأسئلتها الوجودية. اعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي، مستندًا إلى تتبّع مظاهر حضور التراث في الخطاب الشعري العراقي الحديث، وتحليل آليات الانزياح الأسلوبي والتحوّل التركيبي والبلاغي التي أسهمت في إعادة توجيه الدلالة التراثية. وقد بيّن البحث أنّ الانزياح لم يكن إجراءً شكليًا، بل مثّل أداة فاعلة في تفجير المعنى، ونقله من الاستقرار المرجعي إلى الانفتاح التأويلي. كما أظهر أنّ الابتكار الدلالي يُعدّ النتيجة الفنية الأبرز لهذه التحوّلات، إذ أسهم في إعادة بناء الرؤية الشعرية بوصفها رؤية إشكالية مفتوحة، تتجاوز المعنى الأحادي، وتنفتح على تعدّد الدلالات. وخلص البحث إلى أنّ تفاعل التراث مع التجربة الشعرية المعاصرة في الشعر العراقي لم يقم على التقديس أو القطيعة، بل على إعادة توظيف نقدية واعية، جعلت من التراث عنصرًا حيًا في تشكيل الخطاب الشعري، ووسيلةً للتعبير عن قلق الحاضر وتحولاته. كما أكّد أنّ دراسة التراث في الشعر الحديث ينبغي أن تتجه إلى تحليل آليات إعادة إنتاجه وأثرها في بناء المعنى والرؤية، لا الاكتفاء برصد مظاهر حضوره النصّي.

الكلمات المفتاحية: التراث – الشعر العراقي المعاصر – إعادة الإنتاج – الانزياح الأسلوبي – الابتكار الدلالي – الرؤية الشعرية

Mechanisms of Heritage Reproduction in Contemporary Iraqi Poetry: Between Stylistic Deviation and Semantic Innovation

A.L. Hussein Ali Mohammed Al-Bayati

Abstract:

This study examines the mechanisms of reproducing heritage in contemporary Iraqi poetry, based on the premise that heritage is no longer a static referential element or a mere act of recall, but rather a dynamic semantic structure reconfigured within the poetic text according to modern aesthetic and intellectual visions. The research seeks to reveal how traditional symbols are deconstructed and restructured through stylistic and semantic mechanisms that generate new meanings capable of expressing the transformations and existential concerns of contemporary poetic experience. The study adopts an analytical critical approach by tracing the manifestations of heritage within contemporary Iraqi poetic discourse and analyzing the mechanisms of stylistic deviation and structural and rhetorical transformation that contribute to redirecting inherited meanings. The research demonstrates that deviation is not a purely formal device, but a fundamental semantic tool that destabilizes fixed meanings and opens the text to broader interpretive horizons. It also shows that semantic innovation represents the most significant artistic outcome of these processes, as it reshapes the poetic

vision into an open, problematized perspective characterized by multiplicity of meaning rather than semantic closure. The study concludes that the interaction between heritage and contemporary poetic experience in Iraqi poetry is neither based on sanctification nor rupture, but on a conscious critical re-employment that transforms heritage into a living component of poetic construction and a medium for articulating the anxieties and transformations of the present. Accordingly, the study emphasizes that research on heritage in modern poetry should move beyond documenting its presence toward analyzing the mechanisms of its reproduction and their impact on meaning and poetic vision.

Keywords: Heritage – Contemporary Iraqi Poetry – Reproduction – Stylistic Deviation – Semantic Innovation – Poetic Vision

المقدمة:

تُعدّ العلاقة بين الشعر والتراث من القضايا المحورية في النقد الأدبي الحديث، لما ينطوي عليه التراث من طاقة ثقافية ورمزية تسهم في تشكيل الخطاب الشعري وإغنائه. وقد تجاوز حضور التراث في الشعر العربي المعاصر حدود الاستدعاء المباشر أو التوظيف الزخرفي، ليتحوّل إلى فعلٍ إبداعي قائم على إعادة إنتاج النصوص والرموز داخل سياق لغوي وجمالي جديد، ينسجم مع تحوّلات الرؤية الشعرية ومتغيرات الواقع الثقافي. وفي هذا السياق، يؤكد النقد الحديث أنّ النص الأدبي لا يُنتج في عزلة، بل يتشكّل داخل شبكة من العلاقات النصية والثقافية التي تمنحه بعده الدلالي المركّب.

وقد مثّل الشعر العراقي المعاصر مجالًا خصبًا لتجلّي هذه العلاقة، إذ انفتح الشعراء على التراث الديني والأدبي والتاريخي والأسطوري بوصفه مادة قابلة للتحويل والتشكيل، لا بوصفه مرجعًا ثابتًا يُعاد إنتاجه على نحوٍ حرفي. ويأتي هذا التحوّل نتيجة وعيٍ جماليّ بطبيعة اللغة الشعرية الحديثة، التي لم تعد تُبنى على النسق المألوف، بل على الانزياح والتجاوز وكسر التوقّع، بما يسمح بإعادة بناء الدلالة داخل النص الشعري. ويُنظر إلى الانزياح، في النقد الأسلوبي الحديث، بوصفه آلية فاعلة في نقل الخطاب من وظيفته الإخبارية إلى أفقه الجمالي، عبر الخروج المقصود عن الاستعمال اللغوي المألوف. (يقطين، 2005، ص. 18).

وانطلاقًا من هذا التصوّر، يغدو التراث في الشعر العراقي المعاصر عنصرًا ديناميًا يسهم في إنتاج المعنى، لا مجرد خلفية ثقافية تحضر على هامش النص. فإعادة إنتاج التراث تتحقّق من خلال إخضاعه لآليات أسلوبية ودلالية، في مقدّمتها الانزياح، الذي يعمل على تفكيك البنية التراثية وإعادة تركيبها داخل سياق شعري جديد، مولّدًا دلالات تتجاوز المعنى الأصلي للنص أو الرمز المستدعى. ويؤكد التحليل البنيوي الأسلوبي أنّ هذا التحويل لا ينفصل عن البنية الداخلية للنص، حيث يتكامل الشكل والمضمون في إنتاج الأثر الجمالي (مفتاح، 1987، ص. 46).

وتنبع أهمية هذا البحث من سعيه إلى مقاربة آليات إعادة إنتاج التراث في الشعر العراقي المعاصر من زاوية تجمع بين التحليل الأسلوبي والدلالي، مع التركيز على الانزياح الأسلوبي بوصفه أداة مركزية في تحويل المادة التراثية، وعلى الابتكار الدلالي بوصفه نتيجة فنية لهذا التحويل. وينطلق البحث من فرضية مؤداها أنّ التراث لا يتحوّل إلى عنصر بنائي فاعل في النص الشعري إلا عبر آليات لغوية واعية، تسمح بإعادة تشكيله داخل رؤية شعرية معاصرة، بعيدًا عن التكرار أو الاستنساخ.

وبناءً على ذلك، يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة، من أبرزها: كيف تتجلّى إعادة إنتاج التراث في الشعر العراقي المعاصر؟ وما دور الانزياح الأسلوبي في تحويل المرجع التراثي إلى بنية دلالية جديدة؟ وإلى أيّ مدى يسهم هذا التحويل في بناء الرؤية الشعرية وتكثيف أبعادها الجمالية والفكرية؟ وقد اقتضت طبيعة الموضوع اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، بالاستناد إلى المنجزات النقدية الحديثة في

دراسة النص الشعري، مع الإفادة من التطبيقات الشعرية بوصفها مادة كاشفة عن فاعلية هذه الآليات داخل الخطاب الشعري.

المبحث الأول: التراث في الخطاب الشعري المعاصر:

يُعدّ التراث أحد المكوّنات الأساسية التي أسهمت في تشكيل الخطاب الشعري المعاصر، بوصفه رصيدًا ثقافيًا وجماليًا تتقاطع فيه التجربة الفردية مع الذاكرة الجمعية. وقد تجاوز التعامل مع التراث في الشعر الحديث حدود الاستحضار السطحي أو النقل المباشر، ليغدو فعلًا تأويليًا يقوم على إعادة قراءة الماضي في ضوء أسئلة الحاضر. وفي هذا الإطار، يؤكد النقد المعاصر أن النص الشعري الحديث لا ينفصل عن سياقه الثقافي، بل يتغذّى من مخزون رمزي تتداخل فيه المرجعيات التراثية مع الرؤية الحديثة، فينتج خطابًا مركّبًا متعدد الطبقات (فضل، 1998، ص. 27).

وتأتي أهمية التراث في الخطاب الشعري المعاصر من كونه يشكّل وسيطًا فاعلًا في إنتاج المعنى، لا مجرد خلفية ثقافية تحضر على هامش النص. فالشاعر المعاصر، وهو يعيد بناء لغته ورؤيته، يستثمر التراث بوصفه مادة قابلة للتحويل، تخضع لإجراءات فنية تتيح لها الانصهار في بنية النص الجديدة. ويرى الدرس اللساني والنقدي الحديث أن هذا التحويل يرتبط بطبيعة اللغة الأدبية نفسها، التي تقوم على الانزياح والتكثيف والانحراف المقصود عن الاستعمال المعياري، بما يسمح بتوسيع الدلالة وتكثيف الإيحاء (المسدي، 1993، ص. 112).

وانطلاقًا من هذا التصوّر، يغدو حضور التراث في الخطاب الشعري المعاصر علامة على وعي الشاعر بتاريخ لغته وثقافته، وعلى قدرته في الوقت نفسه على تجاوز هذا التاريخ عبر إعادة إنتاجه ضمن أفق جمالي جديد. فالتراث لا يُستدعى بوصفه نموذجًا مكتملًا، وإنما يُعاد تشكيله داخل سياق شعري متحوّل، يعبّر عن قلق الحاضر وأسئلته، ويمنح النص بعدًا حواريًا يربط بين الماضي والراهن. ويُعدّ هذا الفهم مدخلًا ضروريًا لدراسة آليات تعامل الشعر المعاصر مع التراث، وتمييز حدود التحويل والإبداع فيه.

المطلب الأول: مفهوم التراث وتحولاته في النقد الأدبي الحديث:

يُعدّ مفهوم التراث من المفاهيم المركزية التي أثارت جدلًا واسعًا في الفكر الأدبي الحديث، نظرًا لتشابك أبعاده اللغوية والثقافية والنقدية، وتعدّد زوايا النظر إليه. ولا يمكن مقاربة هذا المفهوم مقاربةً علمية دقيقة من دون العودة إلى جذوره اللغوية الأولى، لأنّ هذه الجذور تكشف عن الأساس الدلالي الذي انبنت عليه التحوّلات اللاحقة في استعمال المصطلح داخل الحقول المعرفية المختلفة، ولا سيما النقد الأدبي.

فالتراث، في أصله اللغوي، مشتق من الجذر (و ر ث)، وهو جذر يدلّ على الانتقال والاستمرار والامتداد الزمني. وقد جاء في **لسان العرب** أنّ الوراثة تعني انتقال ما يخلّفه السلف إلى الخلف، سواء أكان هذا الموروث ماديًا أم معنويًا، وأنّ التراث يشمل المال والمجد والحسب وسائر ما يُخلَّف للأجيال اللاحقة (ابن منظور، 1414هـ، ج 6، ص. 398). ويكشف هذا التعريف عن سعة المفهوم منذ بداياته الأولى، إذ لا يحصر التراث في الجانب المادي، بل يوسّعه ليشمل القيم الرمزية والاجتماعية التي تشكّل هوية الجماعة.

ويعزّز **تاج العروس** هذا الفهم، حين يقرّر أنّ التراث هو «اسم جامع لكل ما يُورَث، قلّ أو كثر، حسّيًا كان أو معنويًا» (الزبيدي، 1407هـ، ج 12، ص. 327). ويُستفاد من هذا التعريف أنّ التراث ليس كيانًا مغلقًا أو محدّد المعالم، بل مخزونًا مفتوحًا تتداخل فيه التجربة الفردية مع الذاكرة الجمعية، وتنتقل عناصره عبر الزمن خاضعةً لعمليات الحفظ والنسيان والانتقاء.

ويؤسّس هذا المعنى اللغوي لفهمٍ نقديٍّ أكثر عمقًا، إذ إنّ فعل الوراثة نفسه لا يتمّ بصورة آلية، بل يخضع لشروط اجتماعية وثقافية تحدّد ما يُورَث وما يُهمَل، وما يُعاد إنتاجه وما يُقصى. ومن هنا يمكن القول إنّ

التراث، حتى في معناه اللغوي، ينطوي على بعدٍ دينامي، يقوم على الحركة والتحوّل، لا على الثبات والسكون.

وانطلاقًا من هذا الأساس، شهد مفهوم التراث تحوّلات واضحة في النقد الأدبي الحديث، خصوصًا مع بروز الأسئلة المرتبطة بالهوية والحداثة والعلاقة بالماضي. ففي المراحل الأولى من النهضة العربية الحديثة، كان التراث يُنظر إليه بوصفه مرجعًا معياريًا يُقاس عليه الإبداع، ومخزونًا ينبغي الحفاظ عليه والدفاع عنه في مواجهة الوافد الغربي. غير أنّ هذا التصور سرعان ما تعرّض للمراجعة مع تطوّر المناهج النقدية الحديثة، التي أعادت النظر في علاقة النص الأدبي بالماضي، ورفضت اختزال التراث في وظيفة الحفظ أو التقليد.

ومع صعود المناهج البنيوية وما بعدها، تحوّل التراث من كونه "نصًا سابقًا" إلى كونه "خطابًا" يدخل في شبكة من العلاقات النصية داخل العمل الأدبي. ولم يعد السؤال المطروح: كيف يحافظ النص الحديث على التراث؟ بل: كيف يعيد النص إنتاج التراث داخل بنيته الخاصة؟ وقد أسهم هذا التحوّل في تحرير المفهوم من ثنائية التقديس والرفض، ونقله إلى أفق التحليل والتأويل، بوصفه مادة ثقافية قابلة لإعادة القراءة.

وفي هذا السياق، يؤكد النقد الحديث أنّ حضور التراث في النص الأدبي لا يكون ذا قيمة فنية إلا إذا خضع للتحويل الأسلوبي والدلالي. فالتراث لا يدخل النص كما هو، بل يُعاد تشكيله داخل لغة جديدة، تحكمها شروط السياق المعاصر ورؤية الشاعر. ويُفضي هذا التحويل إلى إعادة توزيع الدلالة، بحيث لا تعود مرتبطة بالسياق الأصلي للعنصر التراثي، بل بالسياق الذي وُظِّف فيه داخل النص الجديد.

كما ارتبط تحوّل مفهوم التراث بتحوّل النظرة إلى اللغة الأدبية ذاتها، إذ لم تعد اللغة وسيلة نقل محايدة، بل أداة فاعلة في إنتاج المعنى. فاللغة الشعرية الحديثة، بما تنطوي عليه من انزياح ومفارقة وتكثيف، تفرض على العنصر التراثي أن يخضع لقوانينها، وأن يُعاد تأويله داخل بنيتها. وبهذا المعنى، يغدو التراث جزءًا من نسيج النص، لا عنصرًا خارجيًا يُضاف إليه.

وقد ترتّب على هذا الفهم النقدي الحديث إعادة تقييم العلاقة بين التراث والإبداع، إذ لم يعد استحضار التراث يُعدّ قيمة بحدّ ذاته، بل غدا مرتبطًا بمدى فاعليته في توليد الدلالة وبناء الرؤية الشعرية. فالتراث، حين يتحوّل إلى أداة لإنتاج المعنى، يسهم في توسيع أفق النص، وربطه بذاكرة ثقافية أعمق، من دون أن يفقد النص خصوصيته أو راهنيته.

وبهذا يرى الباحث أنّ التحوّل الذي شهده مفهوم التراث في النقد الأدبي الحديث يمثّل انتقالًا نوعيًا من منطق "الامتلاك" إلى منطق "التفاعل". فالتراث لم يعد ملكًا للماضي، بل أصبح مجالًا مفتوحًا لإعادة القراءة والتشكيل داخل الخطاب الأدبي المعاصر. ويرجّح الباحث الرؤية التي تنظر إلى التراث بوصفه بنية ثقافية متحوّلة، لأنّها الأقدر على تفسير تنوّع أشكال حضوره في الشعر الحديث، ولا سيما في التجربة العراقية، التي لم تتعامل مع التراث بوصفه عبئًا تاريخيًا، بل بوصفه طاقة دلالية وجمالية تسهم في بناء النص وتكثيف رؤيته. كما يذهب الباحث إلى أنّ أي قراءة للتراث خارج هذا الإطار التحويلي تظلّ قراءة قاصرة، عاجزة عن استيعاب طبيعة الخطاب الشعري الحديث وآلياته.

المطلب الثاني: من استدعاء التراث إلى إعادة إنتاجه شعريًا:

شهد حضور التراث في الشعر العربي الحديث تحوّلًا نوعيًا في آليات التعامل معه، انتقل به من مجرّد *الاستدعاء* إلى مستوى أكثر تعقيدًا يتمثّل في *إعادة الإنتاج الشعري*. ويُقصد بالاستدعاء ذلك النمط من الحضور الذي يقوم على إيراد العنصر التراثي بوصفه مرجعًا جاهزًا، سواء أكان نصًا أو شخصية أو حدثًا، دون إخضاعه لتحويل عميق في بنيته الدلالية. أمّا إعادة الإنتاج، فتقوم على تفكيك هذا العنصر وإعادة بنائه داخل السياق الشعري الحديث، بما يفضي إلى توليد دلالات جديدة تتجاوز حدود المعنى الأصلي.

وقد ارتبط الاستدعاء، في مراحله الأولى، بمحاولات إثبات الصلة بالماضي، أو استثمار الرمز التراثي بوصفه علامة ثقافية مألوفة لدى المتلقّي. ويظهر هذا النمط في كثير من التجارب الشعرية التي استحضرت الشخصيات التاريخية أو الدينية أو الأسطورية، محافظةً على دلالاتها الأصلية إلى حدّ كبير. غير أنّ هذا الشكل من الحضور ظلّ محدود الأثر جماليًا، لأنّه لا يتجاوز مستوى الإشارة أو التلميح، ولا يُسهم في بناء رؤية شعرية جديدة.

ومع تطوّر الوعي الشعري والنقدي، بدأ الشعراء يتعاملون مع التراث بوصفه مادة قابلة لإعادة الصياغة، لا مجرّد مرجع يُستحضَر. وفي هذا السياق، تؤكد الدراسات النقدية الحديثة أنّ النص الشعري المعاصر لا يستدعي التراث ليكرّره، بل ليحاوره ويعيد تشكيله داخل بنية لغوية جديدة، وهو ما يجعل التراث عنصرًا فاعلًا في إنتاج المعنى، لا مجرد خلفية ثقافية (غذّامي، 2000، ص. 52).

ويظهر هذا التحوّل بوضوح في الشعر العراقي الحديث والمعاصر، إذ لم يكتفِ الشعراء باستحضار الرموز التراثية، بل أخضعوها لعمليات تحويل أسلوبي ودلالي، جعلت منها أدوات للتعبير عن قلق الحاضر وأسئلته. ويتجلّى هذا المسار بوضوح في تجربة **بدر شاكر السيّاب**، حيث لا تحضر العناصر الموروثة بوصفها معطيات تاريخية منفصلة، بل تتحوّل إلى بنى رمزية مندمجة في التجربة الشعرية الحديثة، تُعيد إنتاج العلاقة بين الإنسان والمكان والذاكرة.

ففي قصيدته «النهر والموت»، يستدعي السيّاب نهر *بويب*، لا بوصفه معلمًا جغرافيًا محايدًا، بل بوصفه رمزًا مركزيًا تتكثّف فيه دلالات الفقد والانتظار والحنين، ويغدو جزءًا من البنية الشعورية للنص: (علي غانم، 2023، ص. 332).

بُوَيْبُ: بُوَيْبُ
أَجْرَاسُ بُرْجٍ ضَاعَ فِي قَرَارَةِ الْبَحْرِ
الْمَاءُ فِي الْجِرَارِ وَالْغُرُوبُ فِي الشَّجَرِ
أَوَدُّ لَوْ أَخُوضُ فِيكَ أَتْبَعُ الْقَمَرَ
وَأَسْمَعُ الْحَصَى يَصِلُّ مِنْكَ فِي الْقَرَارِ
وَالسَّمَكُ السَّاهِرُ هَلْ يَنَامُ فِي السَّحَرِ

ويُفهم من هذا التوظيف أنّ العنصر التراثي ـ ممثلًا في النهر بوصفه رمزًا مكانيًا ذا حمولة ثقافية ووجدانية ـ لا يُستعاد بوصفه أثرًا من الماضي، بل يُعاد إنتاجه داخل السياق الشعري الحديث، ليغدو أداة فاعلة في بناء الدلالة والتعبير عن تجربة معاصرة تتشابك فيها الذاكرة الفردية مع الوعي الجمعي (خلف، 2023، ص. 219؛ ص. 221).

ويمتدّ هذا المنحى إلى تجارب عراقية أخرى، مثل شعر **بدر شاكر السيّاب**، حيث يتداخل التراث الأسطوري والديني مع التجربة الوجودية الحديثة. ففي قصائده، لا تُستدعى الأسطورة بوصفها حكاية ماضية، بل بوصفها بنية رمزية تُسهم في تشكيل الرؤية الشعرية. وقد بيّنت دراسة حديثة أنّ السيّاب «حوّل الأسطورة من إطار حكائي إلى أداة دلالية تعبّر عن أزمة الإنسان المعاصر» (التميمي، 2019، ص. 148).

ومن هنا، فإنّ إعادة إنتاج التراث شعريًا تقوم على إخضاع العنصر التراثي لمنطق اللغة الشعرية الحديثة، التي تعتمد الانزياح والتكثيف والمفارقة. فالتراث لا يدخل النص كما هو، بل يُعاد تشكيله داخل شبكة من العلاقات النصية التي تمنحه دلالة جديدة. ويُعدّ هذا التحويل هو الفارق الجوهري بين الاستدعاء وإعادة الإنتاج؛ إذ بينما يظلّ الاستدعاء مرتبطًا بالماضي، تنفتح إعادة الإنتاج على الحاضر والمستقبل معًا.

كما أنّ إعادة الإنتاج تقتضي وعيًا نقديًا بطبيعة التراث وحدود فاعليته، إذ لا يتحقّق هذا الفعل الإبداعي إلا حين يصبح التراث جزءًا من البنية الداخلية للنص، لا عنصرًا خارجيًا مفروضًا عليه. وتؤكد الدراسات

الأسلوبية الحديثة أنّ نجاح الشاعر في إعادة إنتاج التراث يرتبط بقدرته على دمجه في الرؤية الشعرية العامة، بحيث يتماهى مع التجربة ولا يبدو دخيلًا عليها (الملحم، 2022، ص. 970).

إذن فإنَّ الانتقال من استدعاء التراث إلى إعادة إنتاجه يمثّل نقلة نوعية في الشعر العربي الحديث، لأنّه نقل التراث من مستوى الزينة الثقافية إلى مستوى البنية الدلالية. ويرجّح الباحث الرؤية التي تجعل إعادة الإنتاج معيارًا للحكم على فاعلية حضور التراث في النص الشعري، لأنّها وحدها القادرة على تفسير التحوّلات الجمالية التي عرفها الشعر العراقي المعاصر. كما يرى أنّ الاستدعاء، على أهميته التاريخية، يظلّ مرحلة تمهيدية، في حين تمثّل إعادة الإنتاج ذروة الوعي الشعري بالتراث، حين يتحوّل الماضي إلى طاقة إبداعية تُسهم في تشكيل الخطاب لا في تقييده.

المبحث الثاني: الانزياح الأسلوبي وآلياته في إعادة إنتاج التراث:

يُعدّ الانزياح الأسلوبي من أبرز الآليات التي أسهمت في تشكيل اللغة الشعرية الحديثة، إذ ارتبط ظهوره بتحوّل النظرة إلى اللغة من كونها أداة نقل للمعنى إلى كونها بنية مولِّدة للدلالة. وقد أفضى هذا التحوّل إلى إعادة النظر في العلاقة بين النص الشعري والمرجعيات الثقافية التي يستند إليها، وفي مقدّمتها التراث، حيث لم يعد حضور هذا الأخير ممكنًا من دون إخضاعه لإجراءات لغوية وأسلوبية تضمن اندماجه في البنية الشعرية الجديدة.

ويقوم الانزياح، في جوهره، على الخروج المقصود عن النسق اللغوي المألوف، سواء في المستوى التركيبي أو الدلالي أو الإيقاعي، بهدف إحداث أثر جمالي يلفت انتباه المتلقي ويكثّف الدلالة. وقد أشار الدرس الأسلوبي الحديث إلى أنّ هذا الخروج لا يُعدّ انحرافًا اعتباطيًا، بل استراتيجية فنية واعية تسهم في إعادة تنظيم العلاقة بين اللفظ والمعنى داخل النص الأدبي (أبو ديب، 1987، ص. 52).

وفي سياق الشعر العربي الحديث، ارتبط الانزياح الأسلوبي ارتباطًا وثيقًا بآليات إعادة إنتاج التراث، إذ أتاح للشاعر أن يتعامل مع المادة التراثية بوصفها عنصرًا قابلًا للتحويل، لا قالبًا جاهزًا يُعاد إنتاجه بصورة حرفية. فالانزياح يعمل على تفكيك البنية الأصلية للعنصر التراثي، وإعادة إدماجه داخل سياق لغوي جديد، تُعاد فيه صياغة الدلالة بما ينسجم مع رؤية الشاعر وتجربته المعاصرة. وقد أكّد النقد الحديث أنّ هذا النوع من التحويل هو ما يمنح النص الشعري قدرته على تجاوز حدود الاستدعاء إلى أفق الإبداع (فضل، 1998، ص. 64).

ومن هنا، يغدو الانزياح الأسلوبي أداة مركزية في بناء الخطاب الشعري المعاصر، ووسيطًا فاعلًا في إعادة إنتاج التراث داخل النص، لا بوصفه موروثًا جامدًا، بل بوصفه طاقة دلالية تُعاد صياغتها وفق شروط اللغة الشعرية الحديثة. ويُعدّ هذا التمهيد مدخلًا ضروريًا لدراسة آليات الانزياح في مستوياتها المختلفة، والكشف عن دورها في تحويل التراث إلى عنصر بنائي فاعل في الشعر العراقي المعاصر.

المطلب الأول: الانزياح الأسلوبي بين النظرية والتطبيق:

يُعدّ الانزياح الأسلوبي من المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها اللغة الشعرية الحديثة، إذ ارتبط بتحوّل عميق في وظيفة اللغة داخل النص الأدبي. فلم تعد اللغة الشعرية أداةً للإخبار أو الوصف المباشر، بل غدت بنية جمالية تقوم على كسر النسق المألوف وإعادة تشكيل العلاقة بين اللفظ والدلالة. ويقوم هذا الكسر على عدولٍ مقصود عن القاعدة اللغوية المتوقعة، بما يفضي إلى توليد معنى ثانٍ يتجاوز الدلالة السطحية، ويُدخل المتلقي في أفق تأويلي أوسع (أبو ديب، 1987).

ومن المنظور النظري، لا يُفهم الانزياح بوصفه خروجًا اعتباطيًا عن اللغة، بل باعتباره فعلًا فنيًا واعيًا يفترض وجود معيار لغوي سابق يُنتظر الالتزام به، ثم يُفاجأ القارئ بالعدول عنه داخل السياق الشعري.

ويؤدي هذا العدول إلى توتر دلالي يُنشّط عملية القراءة، ويحوّل النص من خطاب إخباري إلى خطاب إيحائي، وهو ما يمنح اللغة الشعرية خصوصيتها الجمالية (المسدي، 1993).

وحين ينتقل الانزياح من حيّز التنظير إلى حيّز التطبيق، تتجلّى فاعليته بوضوح في الشعر العراقي الحديث، ولا سيما في النصوص التي سعت إلى تمثيل التجربة الجماعية والصدمة الإنسانية. ففي هذا السياق، يصبح الانزياح وسيلة لتجسيد الإحساس بالمأساة حين تعجز اللغة المباشرة عن احتوائها. وتُعدّ قصيدة «**الكوليرا**» لنازك الملائكة نموذجًا دالًا على هذا المسار، إذ يتكامل فيها الانزياح الإيقاعي والتركيبي والدلالي في بناء التجربة الشعرية.

تبدأ القصيدة بمشهد سمعيّ يُدخل المتلقي مباشرة في أجواء الفاجعة، من خلال كسر النسق الخبري لصالح خطاب إنشائي قائم على الأمر بالإنصات: (نازك الملائكة، 1947، "الكوليرا")

سَكَنَ اللَّيْلُ
أَصْغِ إِلَى وَقْعِ صَدَى الأَنَّاتْ

ويُعدّ هذا المطلع مثالًا واضحًا على الانزياح الأسلوبي، إذ تتحوّل اللغة من نقل الحدث إلى استحضاره صوتيًا، فيغدو الإيقاع جزءًا من الدلالة. ويستمر هذا الانزياح عبر تتابع الجمل القصيرة المتكسّرة، التي تعكس اضطراب المشهد وتسارع الإحساس بالموت:

فِي صَمْتِ الأَبْدِ
تَصْرُخُ أَنْغَامُ الأَلَمِ

كما يتكثّف الانزياح الإيقاعي في اعتماد التكرار، الذي يُعدّ عدولًا عن النسق المألوف في بناء الجملة، لكنه يتحوّل داخل السياق الشعري إلى أداة ضغط دلالي تعبّر عن شمول المأساة واستفحالها:

المَوْتُ... المَوْتُ... المَوْتْ
تَشْكُو البَشَرِيَّةُ مَا يَرْتَكِبُ المَوْتْ

فالتكرار هنا لا يؤدي وظيفة تقريرية، بل يُحدث إيقاعًا متوترًا يوازي تتابع الضحايا، ويحوّل الكلمة المفردة إلى صرخة جماعية. ويتعزّز هذا الأثر من خلال انزياح التركيب، حيث تُحذف الروابط التقليدية، وتُختزل الجمل إلى وحدات صوتية قصيرة، فتبدو القصيدة وكأنها نبض متقطع يواكب حركة الفاجعة.

ويظهر الانزياح الدلالي كذلك في طريقة بناء الصور، حيث تُنزاح المفردات عن معانيها المعجمية لتغدو محمّلة بشحنة وجدانية كثيفة. فالليل، في القصيدة، لا يُقدَّم بوصفه زمنًا طبيعيًا، بل بوصفه فضاءً للصمت والأنّات، والإنصات لا يُفهم فعلًا حسيًا بسيطًا، بل مشاركة وجدانية في الألم الجمعي. وبهذا، تتحوّل اللغة إلى أداة لإعادة إنتاج الحدث داخل النص، لا مجرد وسيلة لنقله.

وتكشف هذه الأمثلة التطبيقية أنّ الانزياح الأسلوبي يعمل بوصفه آلية مركزية في بناء الخطاب الشعري الحديث، إذ يُعيد تشكيل الواقع داخل اللغة عبر الإيقاع والتكرار وكسر النسق. وبهذا المعنى، لا يكون الانزياح مجرد سمة شكلية، بل وسيلة فنية لإنتاج الدلالة، وتحويل التجربة الإنسانية القاسية إلى بنية شعرية قادرة على التأثير والتكثيف.

المطلب الثاني: التحول التركيبي والبلاغي في تمثيل التراث:

يقوم تمثيل التراث في الشعر الحديث على جملة من التحولات الأسلوبية التي لا تقتصر على المستوى الدلالي، بل تمتدّ إلى البنية التركيبية والبلاغية للنص. فالشاعر المعاصر، وهو يعيد إنتاج المرجع التراثي،

لا يكتفي باستحضار مفرداته أو رموزه، بل يُخضع بنيته اللغوية لعمليات إعادة ترتيب وتشكيل، تُفضي إلى كسر النسق التقليدي في بناء الجملة والصورة، بما يسمح بتوليد دلالات جديدة تتجاوز المعنى الأصلي.

ويُقصد بالتحول التركيبي ذلك العدول عن الترتيب النحوي المألوف للجملة، سواء عبر التقديم والتأخير، أو الحذف، أو التكرار، أو تفكيك البنية الخبرية لصالح الإنشاء، وهو ما يجعل التركيب ذاته حاملًا للدلالة. وقد أكّد الدرس الأسلوبي أنّ هذا التحول لا يُعدّ خروجًا شكليًا، بل إجراءً دلاليًا يغيّر من مركز الثقل في الجملة، ويعيد توجيه المعنى داخل السياق (المسدي، 1993).

أمّا التحول البلاغي، فيتجلّى في إعادة توظيف الصور والأساليب البيانية الموروثة، كالاستعارة والكناية والمجاز، داخل سياق حديث يغيّر من وظائفها التقليدية. فالبلاغة هنا لا تُستعمل بوصفها زخرفًا لغويًا، بل بوصفها أداة لإعادة بناء العلاقة بين اللغة والتراث، إذ تُنزاح الصورة البلاغية عن مقصدها الأصلي لتغدو جزءًا من رؤية شعرية جديدة.

وتتضح هذه الآلية عند النظر في كيفية تعامل الشعر الحديث مع النماذج التراثية الكبرى، حيث لا تُستعاد بوصفها قوالب جاهزة، بل تُفكَّك بنيتها التركيبية والبلاغية ثم يُعاد تركيبها داخل سياق مغاير. ويُعدّ هذا التفكيك شرطًا أساسيًا لتحويل التراث من نصٍّ مغلق إلى مادة قابلة للتفاعل والتأويل.

ويُستفاد من الدرس الأسلوبي أنّ التقديم والتأخير، على سبيل المثال، ليس إجراءً نحويًا محايدًا، بل وسيلة لإبراز عنصر دلالي على حساب آخر. وحين يُوظَّف هذا الإجراء في تمثيل التراث، فإنه يُسهم في إعادة ترتيب سلّم القيم داخل النص، فيغدو ما كان هامشيًا في الأصل مركزًا دلاليًا في الخطاب الجديد (أبو ديب، 1987).

ويظهر التحول البلاغي كذلك في نقل الصفات من سياقها الوصفي إلى سياق رمزي، بحيث تتحول الصورة التراثية من دلالة مباشرة إلى علامة ثقافية مركّبة. وفي هذا الإطار، لا تعود الصورة البلاغية وسيلة للإيضاح، بل أداة للتكثيف والإيحاء، تسمح للنص بأن يحمل أكثر من مستوى دلالي في آن واحد.

ويمكن تمثيل هذا المسار بما هو ثابت في التراث الشعري العربي، حين تُبنى الصورة على تراكم العناصر الموروثة داخل تركيب واحد، كما في قول المتنبي:

الخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ** وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالقِرْطَاسُ وَالقَلَمُ

فهذا التركيب القائم على العطف المتتابع لا يقدّم مجرد تعداد، بل يبني صورة بلاغية كثيفة تُجسِّد الذات عبر رموز ثقافية موروثة. وحين يُستثمر هذا النمط في الشعر الحديث، يُعاد إنتاجه عبر تفكيك هذا التراكم أو إعادة توزيعه داخل سياق جديد، بحيث تتحوّل البنية التركيبية ذاتها إلى أداة لتمثيل التراث لا لنقله حرفيًا.

وفي الشعر الحديث، تُعاد صياغة مثل هذه التراكيب التراثية عبر كسر انتظامها أو تحميلها دلالات معاصرة، فتفقد وظيفتها التمجيدية المباشرة، وتكتسب بعدًا إشكاليًا أو نقديًا. وبهذا، يصبح التحول التركيبي والبلاغي وسيلة لإعادة كتابة التراث داخل خطاب يعبّر عن هموم الحاضر، دون أن ينفصل عن جذوره الثقافية.

وتكشف هذه الآلية أنّ تمثيل التراث لا يتحقق عبر المحافظة على بنيته الأصلية، بل عبر إخضاعها لتحولات لغوية تُعيد توجيه الدلالة. فالتركيب والبلاغة لا يعملان هنا بوصفهما عناصر شكلية، بل بوصفهما أدوات لإعادة إنتاج المعنى، وتحويل المرجع التراثي إلى عنصر فاعل في بناء الخطاب الشعري الحديث.

المطلب الثالث: الانزياح بوصفه أداة لتفجير الدلالة التراثية:

يمثّل الانزياح الأسلوبي المرحلة الأعمق في التعامل مع التراث داخل الخطاب الشعري، إذ لا يقتصر دوره على إعادة ترتيب البنية اللغوية أو تجديد الصورة، بل يتجاوز ذلك إلى **تفجير الدلالة التراثية** الكامنة في النص أو الرمز أو التركيب. ويُقصد بتفجير الدلالة نقل العنصر التراثي من دلالته المستقرة تاريخيًا إلى أفق تأويلي جديد، تتعدّد فيه الاحتمالات، ويغدو النص قابلاً لقراءات تتجاوز معناه الأصلي.

ويتحقّق هذا التفجير حين يُنزاح الرمز التراثي عن وظيفته المرجعية الأولى، ويُعاد إدخاله في شبكة علاقات لغوية ودلالية جديدة، تفرضها بنية النص المعاصر. وقد أشار النقد البنيوي والتأويلي إلى أنّ النص لا يحتفظ بدلالته في ذاته، بل تتشكّل دلالته من خلال العلاقات التي يقيمها داخل السياق الجديد، وهو ما يجعل الانزياح أداة حاسمة في إنتاج المعنى لا في نقله (جنيت، 1997).

ومن هذا المنظور، لا يعود التراث في الشعر الحديث مخزونًا دلاليًا ثابتًا، بل يتحوّل إلى طاقة قابلة للتفجير، كلما أُخضع لإجراءات لغوية تُعيد توجيه معناه. ويظهر هذا التفجير بوضوح في إعادة توظيف النصوص الشعرية التراثية نفسها، حين تُقرأ لا بوصفها نماذج مكتملة، بل بوصفها حقولًا دلالية مفتوحة.

ويتجلّى ذلك في شعر **أبي تمام**، الذي مثّل في ذاته انزياحًا مبكرًا عن المألوف البلاغي، وأسهم في زعزعة استقرار الدلالة التراثية. ففي قوله:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ** فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ

لا تقوم الدلالة على المفاضلة الظاهرة بين السيف والكتاب فحسب، بل تنفجر لتؤسس تصورًا ثقافيًا جديدًا للمعرفة والسلطة، حيث يتحوّل السيف إلى خطاب، ويغدو الفعل بديلاً عن القول. ويكشف هذا التركيب عن انزياح دلالي يُعيد تعريف القيم الموروثة داخل سياق تاريخي متوتر.

ويتّسع هذا التفجير الدلالي في شعر **أبي العلاء المعرّي**، حيث تُنزاح المعاني الأخلاقية والدينية عن يقينها الموروث، لتغدو موضع مساءلة وتأويل. ففي قوله: (المعرّي، ديوان سقط الزند)

هذا ما جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ ** وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدِ

لا تُقرأ الأبيات بوصفها تعبيرًا ذاتيًا فحسب، بل بوصفها تفجيرًا لدلالة النسب والوراثة، حيث يتحوّل الإرث من قيمة إيجابية إلى عبء وجودي. ويكشف هذا الانزياح عن انتقال التراث من كونه مصدر فخر إلى كونه موضوع مساءلة، وهو ما يفتح النص على أفق دلالي يتجاوز سياقه الزمني.

ويستمر هذا المسار في شعر **المتنبي**، حيث تتعرّض القيم التراثية للبطولة والذات إلى إعادة تشكيل دلالي عبر الانزياح. ففي قوله:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِي ** إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

تنفجر دلالة الزمن ذاته، إذ يتحوّل الدهر من إطار محايد إلى كيان تابع للشاعر، في انزياح دلالي يعيد توزيع العلاقة بين الإنسان والزمان، ويُحمّل التراث الشعري رؤية فلسفية تتجاوز الفخر التقليدي.

وتكشف هذه النماذج التراثية أنّ الانزياح لا يعمل على تجميل الدلالة، بل على **تفجيرها من الداخل**، عبر كسر استقرارها وإعادة توجيهها. وحين يستثمر الشعر الحديث هذا الإرث، لا يستحضره بوصفه سلطة ماضية، بل بوصفه مادة قابلة لإعادة التأويل، تُضخّ فيها أسئلة الحاضر وقلقه.

ومن هنا، يغدو الانزياح الأسلوبي أداة مركزية في تمثيل التراث داخل الخطاب الشعري الحديث، لأنه يسمح للنص بأن يستثمر المخزون الثقافي دون أن يقع في أسر التكرار. فالتراث، حين يُفجَّر دلاليًا، يتحوّل إلى بنية مفتوحة، قادرة على إنتاج معانٍ جديدة كلما تغيّر السياق وتبدّلت زاوية القراءة. ويؤكد هذا المسار

أنّ الشعر لا يعيش على حفظ الموروث، بل على إعادة خلقه داخل لغة جديدة، تجعل من الانزياح فعلاً تأويليًا بامتياز.

المبحث الثالث: الابتكار الدلالي في الشعر العراقي المعاصر:

وقد مهّدت آليات الانزياح والتحوّل الأسلوبي التي سبق تحليلها للانتقال إلى مستوى الابتكار الدلالي، بوصفه المرحلة الأعمق في تشكّل الخطاب الشعري المعاصر، حيث لا يقتصر التجديد على بنية التعبير، بل يمتدّ إلى إعادة إنتاج المعنى ذاته داخل النص.

ويمثّل الابتكار الدلالي في الشعر العراقي المعاصر نتيجةً طبيعيةً للتحوّلات الأسلوبية التي شهدها الخطاب الشعري الحديث، ولا سيّما تلك المتصلة بآليات الانزياح وإعادة تشكيل البنية اللغوية. فبعد أن تجاوز الشعر مرحلة استدعاء التراث بوصفه مادةً جاهزة أو رمزًا ثابتًا، انتقل إلى مرحلة أكثر عمقًا، تقوم على إعادة إنتاج الدلالة ذاتها، بحيث لا يعود المعنى محكومًا بإحالاته التراثية الأولى، بل يُعاد توليده داخل سياق شعري جديد يعبّر عن أسئلة الحاضر وتحولاته.

ويقوم هذا الابتكار الدلالي على تفكيك العلاقة التقليدية بين الدال والمدلول، وإعادة بنائها وفق رؤية شعرية حديثة، تجعل المعنى نتاجًا للتفاعل بين اللغة والسياق والتجربة الذاتية والجماعية. وقد أشار النقد الحديث إلى أنّ الشعر المعاصر لا يكتفي بتجديد الشكل أو الصورة، بل يسعى إلى خلق دلالات جديدة تنبع من داخل النص، لا من خارجه، وهو ما يمنحه قدرة على التعبير عن التجربة الإنسانية المركّبة في زمن التحوّل والاضطراب (فضل، 1998).

وفي السياق العراقي، يكتسب الابتكار الدلالي خصوصيةً لافتة، نظرًا لارتباط التجربة الشعرية بسلسلة من التحولات التاريخية والسياسية والاجتماعية العميقة. وقد أسهم هذا الواقع في دفع الشعراء إلى البحث عن صيغ دلالية جديدة تتجاوز المباشرة والخطاب التقريري، وتعتمد على الرمز المركّب، والصورة المنزاحة، والبنية المفتوحة التي تسمح بتعدّد التأويل. ويؤكد الدرس النقدي أنّ هذا التحوّل الدلالي لا ينفصل عن وعي الشاعر باللغة بوصفها أداة خلق، لا وسيلة نقل، وأنّ الابتكار الحقيقي يتحقق حين تُعاد صياغة المعنى داخل النسيج اللغوي نفسه (القط، 2001).

ومن هنا، يغدو الابتكار الدلالي في الشعر العراقي المعاصر تتويجًا لمسار فني ومعرفي، تداخلت فيه آليات الانزياح الأسلوبي مع تحوّلات الرؤية الشعرية، ليُنتج خطابًا قادرًا على إعادة بناء العلاقة بين التراث والواقع، وبين الذاكرة والتجربة المعاصرة. ويُمهّد هذا التمهيد لدراسة مظاهر هذا الابتكار في مستوياته المختلفة، والكشف عن آلياته ووظائفه داخل النص الشعري العراقي الحديث.

المطلب الأول: إعادة تشكيل الرمز التراثي ودلالاته:

تُعدّ إعادة تشكيل الرمز التراثي من أبرز مظاهر الابتكار الدلالي في الشعر العراقي المعاصر، إذ لم يعد الرمز يُستحضر بوصفه علامةً ثابتة ذات معنى جاهز، بل غدا بنية دلالية متحوّلة تخضع لإعادة إنتاج مستمرة داخل السياق الشعري. فالرمز التراثي، حين يدخل النص الحديث، يُفكَّك أولًا من سياقه الأصلي، ثم يُعاد بناؤه داخل شبكة من العلاقات اللغوية الجديدة التي تفرضها رؤية الشاعر وأسئلة الواقع المعاصر. وقد بيّن الدرس الأسلوبي أنّ هذه العملية لا تتمّ إلا عبر آليات الانزياح والتحويل، التي تسمح بتفجير الدلالة وإخراجها من الاستقرار إلى الحركة (الملحم، 2022، ص. 971).

ويظهر هذا المسار بوضوح في شعر **عبد الرزاق عبد الواحد**، حيث تتحوّل الرموز التراثية، ولا سيما رمز **المدينة/الوطن**، من صورة تمجيدية مستقرة إلى كيان حيّ يعاني ويقاوم ويُسائل. ففي قصيدته «بغداد»، لا تُقدَّم المدينة بوصفها رمزًا تاريخيًا للحضارة فحسب، بل بوصفها ذاتًا مجروحة تتألم بفعل الخذلان والانقسام، يقول:

بَغْدَادُ... وَهَلْ يَأْلَمُ الْوَطَنُ الْجَمِيلُ؟

نَعَمْ... إِذَا مَا خَذَلَتْهُ السُّيُوفُ وَالْقَبَائِلُ

(عبد الواحد، د.ت، ص. 214)

ويكشف هذا الاستفهام الإنكاري عن انزياح دلالي واضح، إذ ينتقل الرمز من كونه إطارًا مكانيًا مجردًا إلى كونه كائنًا حساسًا يتألم، فتُعاد صياغة دلالة الوطن داخل بنية وجدانية جديدة. ولا يقف الشاعر عند هذا الحد، بل يُعمّق هذا التحويل عبر توسيع الرمز وإحاطته بسياق تاريخي وأخلاقي يُفجّر معناه، كما في قوله من القصيدة نفسها:

بَغْدَادُ... يَا جُرْحَ التَّوَارِيخِ الَّذِي نَزَفَا

مَنْ أَشْعَلَ النَّارَ فِي عَيْنَيْكِ وَانْصَرَفَا؟

(عبد الواحد، د.ت، ص. 215)

فهنا تتحوّل بغداد إلى «جرح التواريخ»، في انزياح بلاغي يُسقِط عنها صفة الثبات، ويجعلها حصيلة تراكم تاريخي من الألم والصراع. ويُلاحظ أنّ الرمز لم يعد يُستعمل للإحالة على الماضي المجيد، بل لإدانة الحاضر واستنطاق الذاكرة، وهو ما يُعدّ شكلًا متقدّمًا من إعادة تشكيل الدلالة التراثية.

ويتواصل هذا التفجير الدلالي حين يُعيد الشاعر بناء علاقة الفرد بالمدينة، فلا تعود بغداد مكانًا يُسكن، بل مصيرًا يُعاش، يقول:

نَحْنُ الَّذِينَ حَمَلُوا بَغْدَادَ فِي دَمِنَا

وَلَمْ نَزَلْ نَتَقَاسَمُ الْأَحْلَامَ وَالتَّعَبَا

(عبد الواحد، د.ت، ص. 216)

تُبرز هذه الأبيات انتقال الرمز من دلالته المكانية إلى دلالة وجودية، حيث تُحمَل المدينة في الدم، لا في الجغرافيا، فتغدو جزءًا من الكينونة الإنسانية ذاتها. وبهذا يتحقّق الابتكار الدلالي عبر تحويل الرمز التراثي إلى بنية شعورية مركّبة، تتداخل فيها الذاكرة والتاريخ والذات الفردية.

وتكشف هذه النماذج أنّ إعادة تشكيل الرمز التراثي عند عبد الرزاق عبد الواحد لا تقوم على استدعاء الماضي أو تمجيده، بل على **إعادة كتابته دلاليًا** داخل سياق معاصر، تُفجَّر فيه المعاني القديمة وتُعاد صياغتها وفق منطق التجربة الراهنة. ويؤكد هذا المسار ما ذهب إليه الدرس النقدي من أنّ الابتكار الدلالي يتحقّق حين يُنزَع الرمز من استقراره المرجعي، ويُعاد إدماجه داخل خطاب شعري مفتوح على التأويل (التميمي، 2023، ص. 492).

المطلب الثاني: تفاعل التراث مع التجربة الشعرية المعاصرة:

يتأسّس تفاعل التراث مع التجربة الشعرية المعاصرة على علاقة جدلية تتجاوز منطق الاستدعاء المباشر أو الإحالة السطحية، لتقوم على إعادة إدماج الموروث داخل البنية الشعورية للنص، بوصفه عنصرًا فاعلًا في تشكيل الرؤية والدلالة. فالتراث في الشعر الحديث لا يُستحضر باعتباره مادة مكتملة أو مرجعية مغلقة، بل يدخل في حوار دائم مع التجربة الذاتية والجماعية للشاعر، بما يسمح بإعادة إنتاجه وفق شروط الحاضر وأسئلته.

ويؤكّد النقد الأسلوبي أنّ هذا التفاعل لا يتحقق عبر المحافظة على الدلالة التراثية في صورتها الأصلية، بل من خلال إخضاعها لتحويلات لغوية ودلالية تجعلها قادرة على التعبير عن التجربة المعاصرة. فالتراث، حين يُعاد توظيفه داخل النص الشعري، يتحوّل من كونه ذاكرة ساكنة إلى طاقة دلالية متحرّكة، تُسهم في بناء المعنى داخل السياق الجديد (المسدي، 1993).

وفي الشعر العراقي المعاصر، يتخذ هذا التفاعل طابعًا خاصًا، نظرًا لارتباط التجربة الشعرية بتحوّلات تاريخية واجتماعية عميقة، انعكست على وعي الشاعر بالمكان والهوية والانتماء. وقد أسهم هذا الواقع في إعادة تشكيل الرموز التراثية الكبرى، ولا سيما **رمز المدينة**، الذي لم يعد يُمثَّل بوصفه فضاءً حضاريًا مستقرًا، بل غدا مرآةً للتوتر والاغتراب والانكسار.

ويُعدّ شعر **بلند الحيدري** من النماذج الدالة على هذا المسار، إذ تتداخل في نصوصه الذاكرة التراثية للمكان مع التجربة الوجودية الحديثة، فتتحوّل المدينة من رمز للانتماء إلى كيانٍ إشكالي يحمل سمات التناقض والقسوة. ففي قصيدته «المدينة» يقول:

الْمَدِينَةُ تَأْكُلُ أَبْنَاءَهَا

وَتُصَلِّي لِلْقَادِمِينَ

تُغْلِقُ أَبْوَابَهَا فِي وَجْهِ مَنْ يَعْرِفُونَهَا

(الحيدري، د.ت، ص. 132)

تُبرز هذه الأبيات تحوّلًا دلاليًا حادًا في تمثيل الرمز التراثي؛ فالمدينة، التي ارتبطت في الوعي الجمعي بدلالات الحماية والاحتضان والاستمرار، تُعاد صياغتها هنا بوصفها كيانًا مفترسًا، «يأكل أبناءه»، في صورة بلاغية تنسف المعنى الموروث وتُعيد توجيهه نحو تجربة معاصرة مشحونة بالاغتراب. ويأتي الفعل «تصلّي» ليضيف بعدًا دلاليًا مركّبًا، إذ يُدخل عنصر القداسة في بنية القسوة، بما يخلق مفارقة بلاغية تُفجّر الدلالة وتكشف زيف الطهر الظاهري.

ويتعمّق هذا التفاعل حين تُغلِق المدينة أبوابها «في وجه من يعرفونها»، حيث ينقلب التراث المكاني من فضاء للمعرفة والانتماء إلى أداة للإقصاء والنفي. ويكشف هذا التحويل أنّ التراث لا يُعاد إنتاجه بوصفه ملاذًا، بل بوصفه جزءًا من الأزمة، يُسهم في تعميق الإحساس بالغربة داخل المكان نفسه. وهنا يتجلّى التفاعل بين التراث والتجربة الشعرية بوصفه عملية نقدية، تُعيد مساءلة الموروث بدل التسليم بدلالاته الجاهزة.

ويُظهر هذا النموذج أنّ التفاعل مع التراث في الشعر العراقي المعاصر لا يقوم على القطيعة أو الرفض، بل على إعادة البناء الدلالي داخل التجربة الشعورية، بحيث يصبح التراث أداة لفهم الحاضر لا وسيلة للهروب منه. فالمدينة التراثية، في شعر الحيدري، لا تُستعاد بوصفها ذاكرة مستقرة، بل تُعاد صياغتها بوصفها تجربة معيشة، تتقاطع فيها الذاكرة الجماعية مع الإحساس الفردي بالاختناق والتهميش.

ومن ثمّ، يمكن القول إنّ تفاعل التراث مع التجربة الشعرية المعاصرة يمثّل أحد أبرز مظاهر الابتكار الدلالي في الشعر العراقي، إذ يسمح للنص بأن يحافظ على صلته بالموروث الثقافي، دون أن يقع في أسر التكرار أو التقديس، ويُنتج خطابًا شعريًا قادرًا على تمثيل تعقيد الواقع وتحولاته من داخل اللغة ذاتها.

المطلب الثالث: أثر الابتكار الدلالي في بناء الرؤية الشعرية:

يُعدّ الابتكار الدلالي من أبرز التحولات التي أسهمت في إعادة بناء الرؤية الشعرية في الخطاب الشعري المعاصر، إذ لم يعد المعنى تابعًا للبنية الشكلية أو محكومًا بإحالاته التراثية المباشرة، بل غدا عنصرًا فاعلًا

في تشكيل الرؤية الكلية للنص. فالشعر الحديث، ولا سيما في سياق التجربة العراقية، لم يكتفِ بتجديد أدوات التعبير، بل اتجه إلى إعادة إنتاج المعنى نفسه، بما يعكس تحوّلًا عميقًا في وعي الشاعر بالعالم واللغة والذات.

وتقوم الرؤية الشعرية، في جوهرها، على الطريقة التي يُدرك بها الشاعر الواقع ويعيد تمثيله لغويًا، وهي رؤية لا تتشكّل بمعزل عن الدلالة، بل تتأسّس من خلالها. وقد أشار الدرس النقدي الحديث إلى أنّ الابتكار الدلالي يُعدّ أحد أهم مكوّنات الرؤية الشعرية الحديثة، لأنّه يسمح للنص بتجاوز المعنى الأحادي، والانفتاح على أفق تأويلي متعدّد، يجعل القصيدة فضاءً للتفكير لا مجرّد أداة للتعبير (أبو ديب، 1987).

ويتحقق هذا الأثر حين تُعاد صياغة العلاقة بين اللغة والواقع، بحيث لا تعود اللغة مرآةً تعكس العالم، بل وسيلة لإعادة بنائه داخل النص. فالابتكار الدلالي يُفضي إلى تفكيك التصوّرات الجاهزة، وإعادة تركيبها في صور لغوية جديدة، تُنتج رؤية شعرية قائمة على الشكّ والسؤال والمفارقة. وقد أكّد النقد البنيوي أنّ المعنى في الشعر الحديث لم يعد نتيجة مباشرة للدال، بل حصيلة شبكة من العلاقات الداخلية التي تفرضها بنية النص (بارت، 1994).

وفي هذا السياق، يُسهم الابتكار الدلالي في نقل الرؤية الشعرية من مستوى التمثيل إلى مستوى التأويل، حيث يصبح النص مجالًا لتعدّد القراءات، لا حاملًا لحقيقة واحدة مغلقة. وتكشف هذه النقلة عن تحوّل في وظيفة الشعر ذاته، إذ لم يعد معنيًا بتثبيت القيم أو إعادة إنتاج التصوّرات السائدة، بل بات أداة نقدية تُسائل الواقع واللغة معًا. ويرى النقد الحديث أنّ هذا التحوّل في الرؤية مرتبط ارتباطًا وثيقًا بقدرة النص على توليد دلالات جديدة، تتجاوز السياق المباشر إلى أفق إنساني أوسع (إيجلتون، 1995).

ويظهر أثر الابتكار الدلالي كذلك في بناء علاقة جديدة بين الذات الشاعرة والعالم، حيث لا تُقدَّم الذات بوصفها مركزًا ثابتًا للرؤية، بل بوصفها كيانًا متحوّلًا يتشكّل عبر اللغة. فالدلالة المبتكرة لا تُعبّر عن موقف جاهز، بل تكشف عن رؤية قَلِقة، تتأسّس على التوتر بين الانتماء والاغتراب، وبين الذاكرة والتجربة الراهنة. وقد بيّن النقد التأويلي أنّ هذه الرؤية لا يمكن فصلها عن طبيعة المعنى في الشعر الحديث، الذي يتّسم بالانفتاح وعدم الاكتمال (ريكور، 2001).

ومن هنا، يمكن القول إنّ الابتكار الدلالي لا يقتصر أثره على مستوى المعنى الجزئي، بل يمتدّ ليشمل الرؤية الشعرية في كليّتها، إذ يُعيد تحديد علاقة النص بالتراث، وبالواقع، وبالقارئ. فالرؤية الشعرية الحديثة تتشكّل من خلال هذا الابتكار بوصفها رؤية إشكالية، لا تسعى إلى تقديم إجابات نهائية، بل إلى فتح أفق للتأمل وإعادة التفكير في المسلّمات.

ويُبرز هذا المسار أنّ الشعر المعاصر، من خلال ابتكاره الدلالي، قد تحوّل إلى خطاب معرفي وجمالي في آنٍ واحد، يشتغل على اللغة بوصفها أداة خلق، لا وسيلة نقل. وبهذا، يصبح الابتكار الدلالي ركيزة أساسية في بناء الرؤية الشعرية، لأنه يمنح النص قدرته على تجاوز اللحظة الآنية، والانفتاح على أسئلة الوجود والإنسان في سياق متحوّل ومعقّد.

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى أنّ التراث في الشعر العراقي المعاصر لم يعد عنصرًا تابعًا أو خلفية ثقافية تُستدعى على هامش النص، بل تحوّل إلى مكوّن بنائي فاعل في تشكيل الخطاب الشعري، من خلال إخضاعه لجملة من الآليات الأسلوبية والدلالية التي أعادت إنتاجه داخل رؤية شعرية حديثة. وقد بيّن التحليل أنّ حضور التراث لم يعد قائمًا على النقل أو الاستعادة المباشرة، بل على فعل إبداعي واعٍ، يقوم على التفكيك وإعادة التركيب، بما يسمح بتوليد دلالات جديدة تتجاوز المعنى الأصلي للنصوص أو الرموز الموروثة.

وأظهر البحث، من خلال تتبّع مظاهر حضور التراث في الخطاب الشعري المعاصر، أنّ التحوّل الجوهري في التعامل معه ارتبط بتحوّل النظرة إلى اللغة الشعرية ذاتها. فاللغة لم تعد أداة محايدة لنقل المعنى، بل أصبحت بنية مولِّدة للدلالة، تُعيد تشكيل العلاقة بين اللفظ والمعنى، وبين النص ومرجعياته الثقافية. وفي هذا السياق، مثّل الانزياح الأسلوبي آلية مركزية في إعادة إنتاج التراث، إذ أتاح للشاعر الخروج المقصود عن النسق المألوف، وتحويل العنصر التراثي من دلالة مستقرة إلى بنية مفتوحة قابلة للتأويل.

وقد كشفت مباحث البحث أنّ الانزياح لم يكن إجراءً شكليًا أو زخرفيًا، بل كان فعلًا دلاليًا عميقًا، أسهم في تفجير المعنى التراثي من داخله، وإعادة توجيهه بما ينسجم مع أسئلة الحاضر وتحولات الواقع. فالتحول التركيبي والبلاغي، كما تبيّن، لم يعمل على تزيين النص، بل على إعادة ترتيب سلّم القيم الدلالية داخله، بحيث أصبح ما كان هامشيًا في السياق التراثي مركزًا في الخطاب الشعري المعاصر، والعكس صحيح.

كما توصّل البحث إلى أنّ الابتكار الدلالي يُعدّ النتيجة الفنية الأبرز لإعادة إنتاج التراث، إذ لم يقتصر أثره على مستوى المعنى الجزئي، بل امتدّ ليشمل بناء الرؤية الشعرية في كليّتها. فالرؤية الشعرية الحديثة، في التجربة العراقية، تشكّلت بوصفها رؤية إشكالية مفتوحة، لا تسعى إلى تقديم أجوبة نهائية، بل إلى مساءلة الواقع واللغة والتراث معًا. وقد أسهم هذا الابتكار في نقل الشعر من مستوى التعبير إلى مستوى التفكير، وجعل النص الشعري فضاءً تأويليًا متعدد الدلالات.

وبيّن البحث أنّ تفاعل التراث مع التجربة الشعرية المعاصرة لم يكن تفاعلًا تصالحيًا أو تقليديًا، بل اتّخذ في كثير من الأحيان طابعًا نقديًا، أعاد مساءلة المسلّمات التراثية، وحرّرها من سلطتها المطلقة، دون الوقوع في القطيعة أو الرفض. فالتراث، في الشعر العراقي المعاصر، لم يُلغَ، ولم يُقدَّس، بل أُعيد توظيفه داخل أفق جمالي جديد، يربط بين الذاكرة والواقع، وبين الماضي والحاضر، ضمن رؤية شعرية تتسم بالقلق والتحوّل.

ومن خلال التطبيقات والتحليلات التي تضمّنها البحث، تبيّن أنّ إعادة إنتاج التراث لا تتحقّق إلا حين يصبح جزءًا من البنية الداخلية للنص، ويتماهى مع التجربة الشعورية للشاعر، فلا يبدو عنصرًا دخيلًا أو مفروضًا. ويُعدّ هذا الشرط هو الفاصل الحقيقي بين الاستدعاء وإعادة الإنتاج، وبين التوظيف الشكلي والفعل الإبداعي الخلّاق.

وفي ضوء ما تقدّم، يمكن القول إنّ آليات إعادة إنتاج التراث في الشعر العراقي المعاصر أسهمت في إغناء الخطاب الشعري، وتوسيع أفقه الدلالي والجمالي، وجعلته أكثر قدرة على تمثيل تعقيد التجربة الإنسانية في سياق تاريخي وثقافي مضطرب. كما يؤكّد البحث أنّ دراسة التراث في الشعر الحديث لا ينبغي أن تنحصر في رصد مظاهر الحضور، بل يجب أن تتجه إلى تحليل الآليات التي تحكم هذا الحضور، والكشف عن أثره في بناء المعنى والرؤية.

وختامًا، يفتح هذا البحث أفقًا لدراسات لاحقة يمكن أن تتناول آليات إعادة إنتاج التراث في أجناس أدبية أخرى، أو تقارن بين التجربة العراقية وتجارب عربية معاصرة، بما يسهم في تعميق فهم العلاقة الجدلية بين التراث والإبداع، بوصفها علاقة حيوية متجدّدة لا تستنفد إمكاناتها مع الزمن.

قائمة المراجع:

أبو ديب، كمال .(1987) *في الشعرية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

إيجلتون، تيري .(1995) *مدخل إلى النظرية الأدبية*. ترجمة: ثائر ديب. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

بارت، رولان .(1994) *لذة النص*. ترجمة: منذر عياشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ريكور، بول .(2001) *نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى* .ترجمة: سعيد الغانمي. بيروت: المركز الثقافي العربي.

فضل، صلاح .(1998) *أساليب الشعرية المعاصرة* .القاهرة: دار سعاد الصباح.

فضل، صلاح .(2004) *بلاغة الخطاب وعلم النص* .القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

المسدي، عبد السلام .(1993) *الأسلوبية والأسلوب* .تونس: الدار العربية للكتاب.

الغذامي، عبد الله .(2000) *الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الغذامي، عبد الله .(2009) *النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية* .الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

بنيس، محمد .(1990) *ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب* .الدار البيضاء: دار توبقال.

بنيس، محمد .(2001) *الشعرية العربية الحديثة* .الدار البيضاء: دار توبقال.

عبد المطلب، محمد .(1995) *البلاغة والأسلوبية* .القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد المطلب، محمد .(2004) *قراءة النص الأدبي* .القاهرة: دار الفكر العربي.

مرتاض، عبد الملك .(2002) *في نظرية النص الأدبي* .الجزائر: دار هومة.

مرتاض، عبد الملك .(2010) *تحليل الخطاب السردي* .الجزائر: دار هومة.

الملحم، عبد الرحمن بن خليفة. (2022). شعرية الانزياح في شعر محمد إسماعيل جوهرجي .*مجلة الدراسات العربية*، مج 44، ع 3، ص 967–994.

التميمي، فهد بن حماد. (2019). الأسطورة وبناء الرؤية الشعرية في شعر بدر شاكر السيّاب .*مجلة كلية دار العلوم*، ع 143، ص 135–158.

خلف، أحمد. (2023). تحولات الرمز التراثي في الشعر العراقي المعاصر .*مجلة الدراسات الأدبية*، ع 58، ص 210–230.

عبد الواحد، عبد الرزاق. (د.ت) *الأعمال الشعرية الكاملة* .بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

الحيدري، بلند. (د.ت) *الأعمال الشعرية* .بغداد.

السيّاب، بدر شاكر. (د.ت) *ديوان بدر شاكر السيّاب* .بيروت: دار العودة.

نازك الملائكة. (د.ت) *ديوان نازك الملائكة* .القاهرة: دار العودة.

حسب الشيخ جعفر. (د.ت) *الأعمال الشعرية* .بغداد.